

## علم النحو ... بين الكوفيين والبصريين دراسة أهم القضايا الخلافية بين المدرستين

الحافظ عبد الرحيم

لكل ما يقوم به الإنسان دافع يدفعه للقيام به ، وهدف يرمي إليه من ورائه حتى تتحقق الفائدة من العمل بعد الوصول إلى الهدف . (١)

وأما ما يدفع إلى نشأة علم النحو فهو الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداءً فصيحاً سليماً ، وخاصة بعد أن أخذ اللحن (٢) يشيع على الألسنة ، وكان قد أخذ في الظهور منذ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد روى بعض الرواة أنه سمع رجلاً يلحن في كلامه ، فقال :  
« أرشدوا أحاكم فإنه قد ضل » . ورووا أن أحد ولاة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كتب إليه كتاباً به بعض اللحن ، فكتب إليه عمر : « أن قنَّ كاتبك سوطاً » (٣) .  
وعندما وصل اللحن إلى القرآن الكريم أدرك العرب

أهمية النحو للمحافظة على النص العربي ، كما روي من حديث علي - رضي الله عنه - مع الأعرابي الذي أقرأه المقرئ ﴿ أن الله بريء من المشركين ورسوله ﴾ ! حتى قال الأعرابي : برئت من الله ورسول الله ، ( إن يكن الله بريئا من رسوله ، فأنا أبرأ منه أيضا ) ، فأنكر ذلك علي - رضي الله عنه - ... الخ (٤) .

### أول من وضع لبنة النحو :

إن من نسب إليهم وضع النحو العربي هم : علي بن أبي طالب ، وأبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ ، ونصر بن عاصم المتوفى سنة ٨٩ هـ ، وعبد الرحمن بن هرمز المتوفى سنة ١١٧ هـ ، وكما يقول الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ : « أول من أصل النحو وأعمل فكره فيه أبو الأسود ، ونصر بن عاصم ، وعبد الرحمن بن هرمز ، فوضعوا النحو أبوابا ، وأصلوا له أصولا ، فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم ، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف (٥) .

ويقول المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ : « أول من وضع العربية ونقط المصحف هو أبو الأسود ، وسئل عمن أرشده إلى الوضع في النحو ؟ فقال : تلقيته عن علي بن أبي طالب . ويعزو كثير من المصادر : اسم « مصطلح النحو » إلى سيدنا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - الذي أمر أبا الأسود أن ينحو نحو النماذج التي أطلعه عليها ، ويبدو أن ما وضعه أبو الأسود بأمر من زياد بن أبيه هو نقط القرآن أي علامات تحدد حركات أواخر الكلمات في القرآن ... وروى ابن علام أن عبد الله بن إسحاق المتوفى سنة ١١٧ هـ أول من بعج النحو ومدّ القياس والعلل ، وكان معه أبو عمرو بن العلاء » (٥) ، (٦) .

ثم جاء بعد هؤلاء العلماء الأوائل الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥هـ حيث استخرج فن العروض ، واستنبط منه ومن علله ما لم يستخرجه أحد ولم يسبقه إلى مثله سابق من العلماء (٧) .

كان الخليل صاحب العربية والعروض ، قال السيراني : « كان الغاية في استخراج مسائل النحو ، وعمل أول كتاب « العين » المعروف المشهور الذي به يتهاى ضبط اللغة (٨) ، وهو أستاذ سيويه ، وعامة الحكاية في كتابه عنه ، وكلما قال سيويه : ... « وسألته » ، أو « قال » من غير أن يذكر قائله فهو الخليل » (٩) .

وقد فتح الخليل بن أحمد الفراهيدي أبواب النحو ، ومد أطنابه ، وأوضح علله ، وبلغ أقصى حدوده ، واستوعب فيه غاية مراده ، وكان في علمه هذا لا نظير له .

وكان ممن تتلمذ على يدي الخليل تلميذه سيويه المتوفى سنة ١٨٨هـ الذي يعتبر بحق واضع النحو ، فإن أول ما وصل إليها في النحو العربي على صورة حيوية « الكتاب » الذي ألفه سيويه .

### نشأة الخلاف بين النحويين :

يعني النحاة بالخلاف الذي نشأ بين علماء البصرة والكوفة من تباين في تعليل الظواهر اللغوية ، ومن تمايز في استنباط الأحكام النحوية ، واختلاف في فهم الأصول واستخدامها ، وتقعيد القواعد وتخريجها إلى غير ذلك مما يمت إلى علم النحو واللغة .

وعلى الرغم من أن كلا الطرفين استعمل نفس الأصول واستخدم نفس الوسائل ، فإن كلا منهما كان له فهمه

الخاص لها وموقفه المتميز منها ، فقد استخدم كل منهما السماع والقياس ، وتمسك بهما ، ولكن اختلاف فهم كل منهما لهذين الأصلين الكبيرين الرئيسين جعلهما فيهما يقفان على طرفي نقيض في تفسير النحو وتقييده ، فما تجد لطرف رأيا حتى تجد للطرف الآخر ما يباينه ويناقضه .

وصفوة الكلام أن الكوفيين توسعوا في السماع بينما توسع البصريون في القياس فأصبح التوسع في السماع السمة الغالبة للمذهب الكوفي ، والتوسع في القياس السمة الغالبة للمذهب البصري ، ويتضح مما سلف أن المذهب البصري أكثر دقة وأشد ضبطا وأوفر مراعاة لقواعد المنهج العلمي ، ولعلنا بذلك نستطيع أن نفهم السر في أن نحو المدرسة البصرية هو الذي ظل مسيطرا على المدارس النحوية المختلفة ، وعلى جميع الأجيال العربية التي جاءت من بعدهم ، لأن قواعدهم هي القواعد المطردة مع الفصحى ، ونقصد الكثير فيها الذي استخرجت منه تلك القواعد استخراجا مصفى مروقا أروع ما يكون الترويق والتصفية (١٠) .

### الخلافاً في العامل عند النحاة :

لقد تعرض النحاة الأوائل أمثال الخليل وسيبويه إلى نظرية العامل أنها تمثل عندهم العمود الفقري للنحو العربي ، والتي تدور حولها أبحاث النحو الرئيسية والفرعية .

ومن يقرأ « الكتاب » لسيبويه يجد نظرية العامل في أبواب « الكتاب » المختلفة مثل ما جاء في حديثه عن « باب مجارى أواخر الكلمة من العربية » قوله : « وهي تجري ثمانية مجار ... ثم قال :... وإنما ذكرت لك ثمانية مجار الأرض بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل إلى ...

صرف الأعراب « (١١) .  
والخليل هو الذي ثبتت أصول نظرية العوامل ومدّ  
فروعها، وأحكامها إحكاما بحيث أخذت صورتها التي تثبت  
على مرّ العصور ، فقد أرسى قواعدها العامة ذاهبا إلى أنه لا بدّ  
مع كل رفع لكلمة ، أو نصب ، أو خفض ، أو جزم من عامل  
يعمل في الأسماء ، والأفعال المعربة ومثلهما الأسماء المبنية ،  
فالعامل أداة لفظي مثل المبتدأ وعمله في الخبر الرفع ، والفعل  
عمله في الفاعل الرفع ، وفي المفعولات النصب ، وقد يكون  
العامل معنويا على نحو ما نص تلميذه سيويه في باب المبتدأ، إذ  
جعله معمولا للابتداء ، ومن العوامل أدوات وحروف منها ما  
يجزم الفعل ... الخ (١٢) .

### من العامل في المبتدأ والخبر ؟

المشهور في رفع المبتدأ أنه رفع بالابتداء ، أي بالاهتمام  
به ، وجعله محلا ، لأنه يسند إليه وهذا أمر معنوي ، غير  
ملفوظ به .

أما الخبر فالمشهور في سبب رفعه وجود المبتدأ فعامله  
لفظي ، وللعلماء في ذلك آراء مختلفة ، منها :

ذهب الكوفيون إلى أن المبتدأ يرفع الخبر ، والخبر يرفع  
المبتدأ فهما يترافعان ، وذلك نحو زيد أخوك وعمرو غلامك ،  
وذهب البصريون إلى أن المبتدأ يرتفع بالابتداء ، وأما الخبر  
فاختلفوا فيه ، فذهب قوم إلى أنه يرتفع بالابتداء وحده ،  
وذهب آخرون إلى أنه يرتفع بالابتداء والمبتدأ معا ، وذهب  
آخرون إلى أنه يرتفع بالمبتدأ ، والمبتدأ يرتفع بالابتداء .

الكوفيون يحتجون بأن قالوا : إنما قلنا : إن المبتدأ يرتفع  
بالخبر والخبر يرتفع بالمبتدأ لأننا وجدنا المبتدأ لا بد له من خبر ،

والخبر لا بد له من مبتدأ ، ولا ينفك أحدهما من صاحبه ، ولا يتم الكلام إلا بها ، ألا ترى أنك إذا قلت : « زيد أخوك » لا يكون أحدهما كلاما إلا بانضمام الآخر إليه ولذلك قلنا : إنهما يترافعان .

ويقول السيوطي : « والتحقيق عندي أن يقال : إن الابتداء هو العامل في الخبر بواسطة المبتدأ ، لأنه لا ينقل عنه ، ورتبته أنه لا يقع إلا بعده ، فالابتداء يعمل في الخبر عند وجود المبتدأ لا به ، كما أن النار تسخن الماء بواسطة القدر والحطب ، فالتسخين حصل عند وجودهما لا بهما ، لأن التسخين إنما حصل بالنار وحدها فكذلك ههنا الابتداء وحده هو العامل في الخبر عند وجود المبتدأ إلا أنه عامل معه ، لأنه اسم ، والأصل في الأسماء أن لا تعمل » (١٣) .

وأما من ذهب إلى الابتداء يعمل في المبتدأ ، والمبتدأ يعمل في الخبر فقالوا : إنما قلنا : إن الابتداء يعمل في المبتدأ ، والمبتدأ يعمل في الخبر دون الابتداء كعامل معنوي ، والعامل المعنوي ضعيف فلا يعمل في شيئين كالعامل اللفظي .  
فالكوفيون يردون أن العامل المعنوي هو عدم العوامل ، وعدم العوامل لا يعمل ، ومن هنا فلا وجود لعوامل معنوية في اعتقادهم ، وأما البصريون فإنهم يعتقدون بوجود عوامل معنوية . (١٤)

### من العامل في الفاعل والمفعول ؟

ذهب الكوفيون إلى أن العامل في المفعول نصب الفعل والفاعل جميعا ، نحو « ضرب زيد عمرا » (١٥) . وذهب بعضهم إلى أن العامل هو الفاعل ، وذهب البصريون إلى أن الفعل وحده عمل في الفاعل والمفعول جميعا (١٦) .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : « إنما قلنا : إن العامل في المفعول نصب الفعل والفاعل ، وذلك لأنه لا يكون مفعول إلا بعد فعل وفاعل لفظا أو تقديرا إلا أن الفعل والفاعل بمنزلة الشيء الواحد ... الخ .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا : إن الناصب للمفعول هو الفعل دون الفاعل ولذلك أجمعنا على أن الفعل له تأثير في العمل ، وأما الفاعل فلا تأثير له في العمل ، لأنه اسم ، والأصل في الأسماء أن لا تعمل ( كما سبق ذكره ) ، وهو باق على أصله في الاسمية ، فوجب أن لا يكون له تأثير في العمل ، وإضافة ما لا تأثير له في العمل إلى ما له تأثير ينبغي أن يكون لا تأثير له .

ولقد رجح الأنباري رأي البصريين لقوله : ( هذا يبطل بـ « إن » ، فإننا أجمعنا على أنه يجوز أن يقال : « إن في الدار لزيدا » ، و« إن عندك لعمرأ » قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إن في ذلك لآية ﴾ ( ١٧ ) ، قال الله تعالى : ﴿ إن لدينا أنكالا ﴾ ( ١٨ ) فنصب الاسم بـ « إن » ، وإن لم تله ، فكذلك ههنا ، وإذا لم يلزم في الحرف وهو أضعف من الفعل ، لأنه فرع عليه في العمل فلأن لا يلزم ذلك في الفعل وهو أقوى كان ذلك من طريق الأولى على أن نقول : إن الفعل قد ولي المفعول ، لأن الفعل لما كان أقوى من حروف المعاني صار يعمل عملين ، فهذا بذاته رافع للفاعل وناصب للمفعول لزيادته على حروف المعاني ( ١٩ ) .

أضف إلى ذلك الفروق اللغوية عند البصريين والنحويين ، التي سيأتي ذكرها لاحقا .

## الفروق اللغوية عند البصريين والكوفيين :

- سنعرض هنا بعض الظواهر اللغوية ذات اختلاف بين مدرستي البصرة والكوفة على سبيل المثال لا الحصر، التي أوردها أبو البركات الأنباري في كتابه : « الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين » ( ٢٠ ) ، إذا أردت تفصيلها فراجع هذا الكتاب وغيره من الكتب النحوية ( ٢١ ) .
- ( ١ ) قال البصريون : « إن أبنية الكلمة ثلاثية ورباعية وخماسية ، وما زاد على ذلك زائد » حينما قال الكوفيون : « إنما لا تقل عن ثلاثة ، ولا تزيد على ثلاثة ، وما زاد على الثلاثة ، فزائد على أصل البناء » .
  - ( ٢ ) اشتقاق كلمة « اسم » عند البصريين من السمو ، وعند الكوفيين من الوسم .
  - ( ٣ ) أقسام الفعل عند البصريين : ماض ومضارع وأمر ، وعند الكوفيين : ماض ومضارع ودائم (أي اسم فاعل ) .
  - ( ٤ ) أقسام الكلمة عند البصريين : اسم وفعل وحرف ، وعند الكوفيين اسم وفعل وأداة .
  - ( ٥ ) ميز البصريون بين علامات الإعراب المتغيرة : رفع ، ونصب ، وجز ، وجزم ، وبين علامات البناء اللازمة : فتح ، وكسر ، وضم ، وسكون ولم يفرق بينهما الكوفيون ، وقد يطلقون النصب على المبني على الفتح ، كما يطلقون الفتح على المنصوب .
  - ( ٦ ) النفي عند البصريين هو الجحد عند الكوفيين .
  - ( ٧ ) البدل عند البصريين هو الترجمة والتبيين عند الكوفيين .
  - ( ٨ ) ظرف المكان عند البصريين هو المحل والصفة عند الكوفيين .
  - ( ٩ ) الضمير الذي لم يتقدمه ما يعود عليه هو ضمير الشأن والقصة



والقصة والحديث عند البصريين ، وهو المجهود عند الكوفيين .

(١٠) الضمير بين المبتدأ والخبر ، أو اسم إن وكان ، وظن وخبرها مثل « محمد هو المجتهد » هو الفضل عند البصريين ، والعماد عند الكوفيين .

(١١) حرف الجرّ عند البصريين هو حرف الخفض عند الكوفيين .

(١٢) ربّ عند البصريين حرف جرّ ، وهي عند الكوفيين اسم .  
وثمة مصطلحات كوفية غير موجودة عند البصريين ،  
مثل :

- الصرف

- الخلاف

- التقريب

وهناك مصطلحات بصرية غير موجودة عند الكوفيين ، مثل :

- كلام الابتداء

- اسم الفعل

- عطف البيان

ما يقابلها عند الكوفيين

مصطلحات البصريين

التفسير

(١) التمييز :

المستقبل

(٢) المضارع :

واو الصرف

(٣) واو المعية :

حروف الصلة أو الحشو

(٤) حروف الصلة :

الفعل الدائم

(٥) اسم الفاعل :

الإجراء وعدم الإجراء

(٦) الصرف والمنع من الصرف :

حروف الخفض

(٧) حروف الجرّ :

ومن هنا نتجت المدارس النحوية المختلفة فجاءت كل واحدة منها بموقف يختلف عن الأخرى ، وخاصة بالإعراب والبناء ، ونظرية العامل والمصطلحات ( كما سبق ذكرها ) .  
ونستعرض الآن هذه المدارس وخصائصها بصورة موجزة:

### مدارس النحو العربي :

#### مدرستا البصرة والكوفة :

في العراق كثر الأعاجم وازداد اتصالهم بالعرب ، وامتزاجهم بهم ، فظهرت آثار العجمة في اللسان العربي ، وهو لسان الدين والدولة ؛ فكان ذلك داعياً إلى وضع ما يحفظ اللسان من الزلل ويصون اللغة من الضياع ، وكانت تلك الأسباب مجتمعة مما جعل العراق أسبق إلى ميدان العمل العلمي بصفة عامة ، والعمل النحوي بصفة خاصة .

وكانت البصرة أسبق مدن العراق إلى ميدان النشاط النحوي ، وتبعتها الكوفة ، ثم جاءت بغداد على إثرهما ، وقامت بأمر النحو بعدهما ، فاتجهت نحوهما الأنظار وتسبق إليها العلماء والطلاب إلا أن المرحلة التي قطعت البصرة والكوفة في النحو قبل أن تنافسها بغداد ، كانت مرحلة رائعة الأثر بعيدة المدى ، وإلى هاتين المدرستين يعود الفضل الأول في بناء النحو العربي ووضع أصوله .

وقد كان للمنافسة الشديدة بين نحاة البصرة والكوفة أثر حميد في شحذ الهمم وبذل الجهود في خدمة النحو والصرف ، بل لقد ساعدت تلك المنافسة على الوصول بعلم العربية إلى النضج والعمق (٢٢) .

وكان محور الدراسات الأساسي في المدينتين هو القرآن الكريم ، كما كان القرآن الكريم مرآة صافية انعكست على

صفحتها عبقرية اللغة العربية في أرقى صورها ، فقد كان أيضا المحرك الأعظم للعرب ، لكي يتناولوا لغتهم بالبحث والدراسة ليفهموا ما جاء به القرآن من معان وأساليب إلى جانب الدراسات الأخرى المتعلقة بالأحكام الشرعية والقضايا الفلسفية والكلامية ، وما اتصل بها من علوم ، والذي يهمننا في هذا المقام أن نشأة الدراسات اللغوية والأدبية مثل غيرها من الدراسات كان محورها القرآن الكريم ، كما ذكرت سابقا ، والمحاولات الأولى في هذا المجال قام بها أمثال أبي الأسود الدؤلي وتلاميذه ثم تتابع العلماء حتى القرن الثالث ، ويمكن تلخيص طبقات النحويين البصريين على النحو التالي :

الطبقة الأولى : وعلي رأسها سيدنا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وأبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ ، ونصر بن عاصم الليثي المتوفى سنة ٨٩ هـ ، وأول من نقط المصاحف وأخذ القراءة عرضا عن أبي الأسود الدؤلي عنسبة الفيل هو عنسبة بن معدان يلقب بالفيل ، فيقال : عنسبة الفيل ، هو أحد أصحاب أبي الدؤلي ( ٩٢٤ ) ، وعبد الرحمن بن هرمز المتوفى سنة ١١٧ هـ ، ويحيى بن يعمر المتوفى ١٢٩ هـ ، وعبد الله بن إسحاق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ هـ وكان من علل النحو وأخذ القياس ( ٢٥ ) .

الطبقة الثانية : وفيها : عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٤٩ هـ وله في النحو نيف وسبعون مصنفا ، ولم يظهر من ذلك إلا كتابان ، وهما : « الجامع » ، و « الإكمال » وقد مدحهما الخليل بن أحمد في بيتين من نظمه :

ذهب النحو جميعا كله غير ما

أحدث عيسى بن عمر

ذاك كما وهذا جامع وكذا  
للناس شمس وقمر (٢٦)

ويعقوب بن أبي إسحاق النحوي المقرئ ، البصري ، إمام  
أهل زمانه في القراءات والعربية (٢٧) وأبو عمرو بن العلاء  
المتوفى سنة ١٥٤ هـ أحد القراء السبعة أخذ من أهل الحجاز  
والبصرة (٢٨) .

الطبقة الثالثة : وعلى رأسها الخليل بن أحد الفراهيدي  
المتوفى سنة ١٧٥ هـ ، صاحب العربية والعروض (٢٩) ، كما  
سبق ذكره بالتفصيل . والأخفش الكبير النحوي المتوفى سنة  
١٧٧ هـ أحد الأئمة الكبار في النحو واللغة ، أخذ عنه سيويه  
وأبو عبيد (٣٠) ، ويونس بن حبيب الضبي المتوفى سنة  
١٨٢ هـ ، كان إماما في النحو واللغة وله قياس ومذاهب تروي  
عنه (٣١) .

الطبقة الرابعة : وفيها سيويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان  
بن قنبر المتوفى سنة ١٨٨ هـ ، أخذ النحو عن الخليل وعن  
عيسى بن عمر الثقفي ويونس وغيرهم (٣٢) وهو معروف  
بتأليفه « الكتاب » .

الطبقة الخامسة : وفيها الأخفش الأوسط ، سعيد بن  
مسعدة الجاشعي المتوفى سنة ٢٢١ هـ ، وهو الراوي الأول  
لكتاب سيويه ، وعنه أخذ الجرمي والمازني وغيرهما ، وكان  
معتدلا في النحو واللغة وكانت له مخالفات مع الخليل وسيويه  
تأثر بها الكوفيون وأقاموا عليها مذاهبهم ، وكان الأخفش أبرع  
أصحاب سيويه وله مصنفات مفيدة منها : الأوسط (٣٣)  
وقطرب بن المستنير المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ، أخذ النحو عن  
سيويه وله مصنفات كثيرة ، منها : كتاب الاشتقاق ، وكتاب

الاضداد وكتاب معانى القرآن (٣٤) .

الطبقة السادسة : وفيها صالح الجرمي البصري المتوفى سنة ٢٢٥ هـ هو إمام في النحو ، أخذ عن الأخفش معروف بكتاب الفرخ ، وبكر بن محمد بن عثمان المازني المتوفى سنة ٢٤٩ هـ أعلم الناس بعد سيويه هو أستاذ المبرد له مؤلفات ، منها : كتاب في التصريف ، وكتاب الديباج (٣٥) وأبو حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥ هـ وهو الإمام في النحو واللغة وعلوم القرآن ، وله مصنفات باهرة منها : « إعراب القرآن » و « الإدغام » (٣٦) .

الطبقة السابعة : ومن أشهر علمائها : أبو العباس محمد بن يزيد الملقب بالمبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ وكان إماما في العربية ، وهو معروف بكتابه الجليل « الكامل في اللغة والأدب » ، ومن أمثال أهل المغرب : من لم يقرأ « الكامل » فليس بكامل (٣٧) .

أما الدراسات النحوية واللغوية في الكوفة فقد بدأت بعد حوالي القرن من بداياتها في البصرة ، وما وصلنا عن الطبقة الأولى الكوفية ، ومنها : الرؤاس ، ومعاذ بن مسلم الهراء المتوفى سنة ١٨٧ هـ قليل ، وقد تلقيا العلم في البصرة ، ولكن البداية الحقيقية للنحو الكوفي تبدأ مع رأس الطبقة الثانية ، وهو الكسائي المتوفى سنة ١٨٩ هـ ، وقد أخذ العلم عن الخليل بن أحمد البصري ، وعلى يديه قدى المذهب الكوفي ، وكثرت الذوق بينه وبين المذهب البصري - كما سبق ذكرها بالتفصيل .

ويمكن تلخيص طبقات الكوفيين على النحو التالي :  
الطبقة الأولى : ومن أشهرها معاذ بن مسلم الهراء

الكوفي المتوفى سنة ١٨٧ هـ ، أخذ عنه الكسائي وغيره ، فهو من أعيان النحاة (٣٨) .

الطبقة الثانية : ومن أشهر علمائها علي بن حمزة بن عبد الله المعروف بالكسائي المتوفى سنة ١٨٩ هـ وهو الإمام المشهور ، أحد القراء السبعة أخذ القراءات عن حمزة الزيات ، وقرأ النحو على معاذ ثم على الخليل بالبصرة (٣٩) .

الطبقة الثالثة : ومنها خلف بن حيان الأحمر المتوفى سنة ٢٠٠ هـ هو أحد رواة الغريب واللغة والشعر (٤٠) ويحيى بن زياد بن عبد الله المعروف بالفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ أخذ عن الكسائي وكان أبرع الكوفيين ، له مصنفات في النحو واللغة ومعاني القرآن (٤١) .

الطبقة الرابعة : ومنها : أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير المتوفى سنة ٢٣١ هـ وهو إمام في القراءات والنحو ، له كتاب في النحو وفي القراءات (٤٢) ويعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٣ هـ وكان عالما بنحو الكوفيين (٤٣) وله كتاب مشهور ، اسمه « إصلاح المنطق » وضعه المؤلف لضبط النطق باللغة الفصحى وتقويم الألسنة بها بعد أن فشا اللحن وكثر الغلط ، وذلك من خلال عرض عدد كبير من الكلمات العربية التي يكثر تداولها (٤٤) .

الطبقة الخامسة : ومن أشهرها : أبو العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ ، إمام الكوفيين في النحو واللغة (٤٥) ، وألف كتابا أسماه بـ « الفصيح » فقد اتجه فيه إلى ضبط ألسنة الناس في ما يتداولونه من ألفاظ ، وذلك بإصلاح الغلط السائد في اللفظ ، وبالدلالة على الأفصح إذا تعددت لغات اللفظ ، وأيضا له كتاب « مجالس ثعلب »

يشتمل على علوم العربية لغة ونحواً وصرفاً وتفسيراً وقراءات .  
 وثعلب هو أحد شيخ مدرسة الكوفة في النحو ، ولهذا  
 فإننا نجد كتابه حافلاً بكثير من المسائل النحوية المعروفة من  
 وجهة النظر الكوفية كما أنه كان معاصراً للمبرد (٤٦) .  
 وأما خصائص مدرستي البصرة والكوفة فيمكن تلخيصها  
 كالتالي :

### خصائص المدرسة البصرية :

- أ- تميل المدرسة البصرية إلى الالتزام الصارم بالقواعد  
 النحوية المطردة .
- ب- التوسع في رسم الصيغ المنطقية للنحو العربي ،  
 والجرى وراء التعليل والقياس .
- ج- اعتمادهم على العقل أكثر من اعتمادهم على  
 النقل والسمع ، وتأثرهم بمنهج الفلاسف والمناطق .

### خصائص المدرسة الكوفية :

- أ- أميل إلى تحكيم الشواهد .
  - ب- التوسع في القواعد ، وقبول الشاذ من أقوال العرب .
  - ج- الاعتماد على النقل أكثر من العقل .
  - د- تأثرهم بمنهج القراء والمحدثين .
  - هـ- عدم اللجوء إلى التأويل والتفسير إلا نادراً .
- وبناء على هذا اشتهرت المدرسة البصرية بصحة القياس  
 وبكثرة التأويل فأضافوا أعباءً جديدة على اللغة ، حينما اشتهرت  
 المدرسة الكوفية بتتبع كلام العرب ومعه الرواية ، وقاموا بأداء  
 خدمات جليلة للغة كتاب الله والسنة النبوية كما أبدعت هذه  
 المدرسة « علم الصرف » على يد معاذ بن مسلم الهراء المتوفى  
 سنة ١٨٧ هـ ( سالف الذكر ) .

هذه الدراسة نحو التعليل والقياس إلى جانب تأثرهم بمنهج الفلاسفة في مذهبهم النحوي حتى كاد الأمر أن يصبح قوالب منطقية يلتزم بها الناس ، وإن بعدت عن واقع الناس اللغوي . وقد دفع ذلك بكثير من العلماء للتخفيف من حدة هذا الغلو في التحليل المنطقي مما برز في أنصح صورة عند النحو الأندلسي ابن مضاء القرطبي في كتابه « الرد على النحاة » .

### المدرسة البغدادية :

إن المدرسة التي أتت بعد هاتين المدرستين ، هي المدرسة «البغدادية» واكتملت في القرن الثالث الهجري ، وكانت مقر العلماء والأدباء في العصر العباسي .

وأما الخلافات بين مدرستي البصرة والكوفة حينما انتقلت إلى بغداد ، ظهرت مدرسة جديدة « البغدادية » ولم تكتف بغداد بترديد ما كان يدور في البصرة والكوفة فحسب ، بل أصبح لها منهج في الدراسات اللغوية والنحوية على وجه الخصوص ، ولكن شخصية المدرسة البغدادية لم تبرز إلا في القرن الرابع الهجري ، ويمكن النظر إلى تاريخ هذه المدرسة البغدادية على مرحلتين :

الأولى : حيث تغلب النزعة الكوفية أمثال ابن كيسان ، وابن شقير ، وابن الخياط .

والثانية : حيث تغلب النزعة البصرية أمثال الجرجاني ، وأبي علي الفارسي وابن جني مؤصل « علم التصريف » .

ومنهج هذه المدرسة على وجه العموم الاختيار من آراء المدرستين : البصرية والكوفية ، وكذلك التوفيق بين مناهجهما . ومن متأخري البغداديين : ابن الشجري المتوفى سنة ٥٤٢ هـ وأبو البركات ابن الأنباري مؤلف « الإنصاف في



مسائل الخلاف ... » والزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ رغم استقلالته إلا أنه يعتبر من البغداديين ، والرضي الاسترأبادي من طبرستان المتوفى سنة ٦٨٦ هـ ، له شرح الكافية في النحو ، وشرح الشافية الصرف وكلاهما لابن حاجب (٤٧) .

### المدرسة المصرية :

وهي المدرسة الأخيرة المرتبطة بأراء البصريين والكوفيين والبغداديين ، وبدأت منذ القرن الرابع الهجري ، وإن أحد تلاميذ أبي الأسود عبد الرحمن بن هرمز ، انتقل في مرحلة مبكرة إلى مصر ، ونشر بينهم « علم التصريف » وإن أهل مصر كانوا على صلة وثيقة بقراء القرآن ، ولم تكن في البداية مدارس نحوية في مصر ، بل ظهرت بعض الملامح في القرن الرابع الهجري ، والمشهور منهم أبو جعفر النحاس الذي مزج بين النحو الكوفي والنحو البصري .

وأول نحوي حمل بمصر راية النحو ولاد بن محمد التميمي البصري الأصل ، وقد رحل إلى العراق ، فلقى الخليل بن أحمد وأخذ عنه ، ثم عاد إلى مصر ، ومعه كتبه التي استفادها في العربية من إملاءات الخليل ، وأخذ يحاضر فيها الطلاب .

وأكبر نحاة العصر الفاطمي هو ابن بري المتوفى سنة ٥٨٢ هـ ، وابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ الذي ألف « الكافية في النحو » و « الشافية في الصرف » (٤٨) .

### المدرسة الأندلسية :

أول الأندلسيين جودي بن عثمان الموردي تتلمذ على الكسائي والفراء وأول من أدخل كتب الكوفيين في الأندلس ، وتكاثر العلماء في القرن الثالث الهجري منهم عبد الملك بن

وتكاثر العلماء في القرن الثالث الهجري منهم عبد الملك بن حبيب السلمي المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، وهو إمام في الفقه والحديث والنحو واللغة ، له كتاب في إعراب القرآن ، ونجد في القرن الثالث محمد بن موسى بن هاشم المتوفى سنة ٣٠٧ هـ ، يرحل للمشرق ويلتقي في مصر بأبي جعفر الدينوري ، ويأخذ عنه الكتاب رواية ويقراه لتلاميذه بقرطبة .

وبرز في أوضح صورة السنتمري المتوفى سنة ٤٧٦ هـ ، وكان أول من نهج لنحاة الأندلس بقوة هذا الاتجاه ، وفي القرن السادس نجد ابن السيد البطلوسي المتوفى سنة ٦٤٥ هـ ، وابن هشام الخضراوي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ .

ومن الأندلسيين المشهور لهم ابن مضاء القرطبي المتوفى سنة ٥٩٢ هـ أخذ الكتاب عن ابن الرّمّال ، وكان حجة في الفقه الظاهري فولاه الموحدون قضاء فاس ، ثم قضاء الجماعة ، وكان في مذهبه النحوي يطبق مذهبه الظاهري الرافض للعلل والقياس .

وأشهر نحاة الأندلس بعد ابن مالك أبو حيان النحوي الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ تلميذ ابن الصائغ ، وقد تتلمذ أيضا على بهاء الدين بن النحاس بمصر تلميذ ابن مالك ، وكان ظاهرياً كما بن مضاء ، ولكنه لم يغل غلوه فلم يدع لإلغاء العامل ، بل هاجم كثرة التعليل للظواهر النحوية ، ودعا للتخفيف منها (٤٩) .

تبين هذه الدراسة النحوية أن أوائل النحاة هم علماء البصرة ، ثم علماء الكوفة الذين بذلوا جهودهم المضنية في وضع علم النحو وتصوره طبقة بعد طبقة .

ومن الواقع أن نشأة الخلاف النحوي بين هؤلاء العلماء

البصريين والكوفيين أمر طبيعي ، فهذا يرجع أصلاً إلى الاختلاف في مناهجهم ، حيث تأثر علماء البصرة بمنهج الفلاسفة والمناطق السائد في ذلك العصر ، وبالتالي أكثروا في الاعتماد على التعليل والقياس ، بينما اعتمد علماء الكوفة على النقل والرواية أكثر من العقل تأثرًا بمنهج القراء والمحدثين ، وهذا الإختلاف أو النزعة السائدة قد أدت إلى إنشاء هاتين المدرستين ، فبناء على ذلك نبعت المدرسة البصرية على أساس القياس ، بينما نبعت المدرسة الكوفية على أساس النقل والرواية ، فألف عدة كتب حول هذا الخلاف بين النحاة وخاصة الخلاف بين البصريين والكوفيين ، و أول من ألف في هذا الموضوع على نمط ما صنع الفقهاء في كتبهم التي ألفوها في الخلاف بين الحنفية والشافعية : هو الأنباء ( أبو البركات ) ويقول في مقدمة كتابه « الإنصاف في مسائل الخلاف » :

« ... سألوني أن ألخص لهم كتاباً لطيفاً يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحوي البصرة والكوفة على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعية وأبي حنيفة ، ليكون أول كتاب صنّف في علم العربية على هذا الترتيب ، وألف على هذا الأسلوب ، لأنه ترتيب لم يصنّف عليه أحد من السلف ... واعتمد في النصره على ما أذهب إليه من مذهب الكوفة أو البصرة على سبيل الإنصاف لا التعصب والإسراف » .

الكتب التي ألفت في هذا الموضوع دون الإنصاف فهي كالتالي :

- (١) اختلاف النحويين لثعلب ( ت ٢٩١ هـ ) .
- (٢) المسائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه البصريون

- والكوفيون لابن كيسان ( ت ٣٢٠ هـ ) .
- (٣) المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين لأبي جعفر النحاس  
( ت ٣٣٨ هـ ) .
- (٤) الرد على ثعلب في اختلاف النحويين لابن درستويه  
( ت ٣٤٧ هـ ) .
- (٥) كتاب الاختلاف لعبيد الله الأزدي ( ت ٣٤٨ هـ ) .
- (٦) الخلاف بين النحويين للرماني ( ت ٣٨٤ هـ ) .
- (٧) كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين لابن فارس  
( ت ٣٩٥ هـ ) .
- (٨) التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، لأبي  
البقاء العكبري ( ت ٦١٦ هـ )
- (٩) الإسعاف في مسائل الخلاف لإبن إياز ( ت ٦٨١ هـ ) .
- (١٠) مدرسة الكوفة ، مهدي الخزومي .

## هوامش

- (١) هناك عدة دوافع لنشأة علم النحو ، منها الديني ، ومنها غير الديني ، وأما ما أتحدث عنه هنا فهو الدافع الديني ، وأما غير الديني فهو الدافع اللغوي والاجتماعي والثقافي ، أنظر: الجاحظ ، البيان والتبيين ، دار صعب - بيروت ١٨/١-١٩ .
- (٢) اللحن ، هو الخطأ في اللغة : أصواتها ، أو نحوها ، أو صرفها ، أو معاني مفرداتها ، والمعنى العام « إزالة الكلام عن جهته الصحيحة بالزيادة والنقصان في الترنم » أنظر: الدكتور عبد العزيز مطر ، « اللحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة » ، طبع بالقاهرة ، ص ١٩ .
- (٣) ابن جنى ، أبو الفتح عثمان ، « الخصائص » ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ٨/٢ .
- (٤) نفس المصدر والصفحة .
- (٥) الزبيدي ، محمد بن الحسن الأندلسي ، « طبقات النحويين اللغويين » ، طبعة الخانجي بالقاهرة ، ص ٢ .
- (٦) ابن سلام ، « طبقات فحول الشعراء » ، شرح محمود شاكر ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٢م ص : ١٣ ، وشوقي ضيف ، « المدارس النحوية » ، دارالمعارف ، مصر ص : ٢٣ .
- (٧) راجع محمد بن مزحج الزبيدي ، « لحن العوام » ، تحقيق : الدكتور رمضان عبد التواب ، المطبعة الكمالية ، ط : ١ ، سنة ١٩٦٤م ، ص ٥ .
- (٨) السيوطي ، الحافظ جلال الدين ، « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » ، المكتبة المصرية ، بيروت ، ص : ٥٥٧ .
- (٩) نفس المصدر ص : ٥٥٨ .

- (١٠) الأنباري ، أبو البركات ، « الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين » ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبع حجازي بالقاهرة ، ص ٢٣٥ ، والمدارس النحوية ص : ١٦٧ .
- (١١) سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، « الكتاب » ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط ٢ ، سنة ١٤٠٢ هـ ، ١٣/١ .
- (١٢) المدارس النحوية ص : ٣٨ .
- (١٣) السيوطي ، « الأشباه والنظائر » ، طبع مصر ١ / ٢٣٨ .
- (١٤) « الإنصاف في مسائل الخلاف » ... ( مسألة خامسة ) ٢١/١ - ٢٣ .
- (١٥) في حالة النصب : يكتب « عمرو » عمرا ( بلا واو )
- (١٦) الرضي ، الاستر اباذي « شرح الكافية » ٢١/١ و ٥٦-٥٩ .
- (١٧) سورة آل عمران : ٤١ .
- (١٨) سورة المزمل : ١٢ .
- (١٩) « الإنصاف في مسائل الخلاف » ( مسألة حادية عشر ) ٥٦/١ - ٥٩ ، والمدارس النحوية ص : ٢٠٥ .
- (٢٠) عرض المؤلف في هذا الكتاب لمائة وإحدى وعشرين مسألة من مسائل الخلاف بين مدرستي البصرة والكوفة عرضا علميا دقيقا ، وبسط القول فيها بسطا شاملا بأسلوب شيق و تبويب منظم .
- (٢١) أنظر الكتاب لسيبويه ، والمدارس النحوية ، والإنصاف في مسائل الخلاف ، والدكتور عون الشريف قاسم ، « شعر البصرة في العصر الأموي » ، وإبراهيم مصطفى ، « إحياء النحو » ، ومهدي الخزومي ، « مدرسة الكوفة » ، وله : في النحو العربي ، وسعيد الأفغاني ، « في أصول النحو » ، والدكتور رمضان عبد التواب ، « فصول في اللغة » .
- (٢٢) الدكتور مازن مبارك ، الرماني « النحو في ضوء شرحه لكتاب سيبويه » ص : ٢٧ .

(٢٣) اليماني ، عبد الباقي بن عبد المجيد ، « إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين » ، تحقيق الدكتور عبد المجيد دياب ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، السعودية ، ط: ١ ، سنة ١٩٨٦م ، ٣٦٣ ، والسيوطي ، « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٤م ٢/٢١٣ ، القفطى ، « إنباء الرواة على أنباء النحاة » ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ، ١٩٧٣م ، ٣/٣٤٣ .

(٢٤) « إنباء الرواة ٢/٣٨١-٣٨٢ » ، و « بغية الوعاة » ٢/٣٣ ، و « إشارة التعيين » ٢٤٦ ، والسيوطي ، « المزهرة » ، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ، ط : ٢ ، ٢/٣٩٨ .

(٢٥) « طبقات النحويين واللغويين » للزبيدي ص : ٢ .

(٢٦) « إشارة التعيين » ٢٤٩-٢٥٠ ، و « بغية الوعاة » ٢/٢٣٧-٢٣٨ ، و « إنباء الرواة » ٢/٣٧٤-٣٧٧ .

(٢٧) « إشارة التعيين » ٣٨٥ .

(٢٨) « إشارة التعيين » ١٢١ ، و « بغية الوعاة » ٢/٢٣١ .

(٢٩) « إشارة التعيين » ١١٤ ، « طبقات النحويين » للزبيدي ٤٣-٣٧ ، و « بغية الوعاة » ١/٥٥٧-٥٦٠ .

(٣٠) « إشارة التعيين » ١٧٨ ، و « إنباء الرواة » ٢/١٥٧-١٥٨ ، و « البغية » ٢/٧٤ .

(٣١) « إشارة التعيين » ٣٩٦ ، و « إنباء الرواة » ٤/٦٨-٧٣ ، و « البغية » ٢/٣٦٥ .

(٣٢) « إشارة التعيين » ٢٤٢ ، و « إنباء الرواة » ٢/٣٤٦ ، و « البغية » ٢/٢٢٩-٢٣٠ .

(٣٣) « إشارة التعيين » ١٣١-١٣٢ ، و « إنباء الرواة » ٢/٣٦-٤٤ ، و « بغية الوعاة » ١/٥٦٠ .

(٣٤) « إشارة التعيين » ٣٣٨ ، و « إنباء الرواة » ٣/٢١٩ ، و « بغية الوعاة » ١/٢٤٢ .

(٣٥) « إشارة التعيين » ١٤٥ ، و « إنباء الرواة » ٢/٨٠-٨٣ .

(٣٦) « إشارة التعيين » ١٣٧ ، و « إنباء الرواة » ٢/٥٨-٦٤ ، و « بغية الوعاة » ١/٦٠٦-٦٠٧ .

(٣٧) « إشارة التعيين » ٣٤٢ ، و « إنباء الرواة » ٣/٤٤١-٢٥٣ ، و « بغية الوعاة » ١/٢٦٩ .

- (٣٨) «إشارة التعيين» ٣٤٧ ، و«إنباه الرواة» ٢٨٨/٣ .
- (٣٩) «أشارة التعيين» ٢١٧ ، و«إنباه الرواة» ٢٥٦-٢٧٤ ، و«بغية الوعاة» ١٦٢/١-١٦٤ .
- (٤٠) «إشارة التعيين» ١١٣ .
- (٤١) نفس المصدر ، ص ٣٧٩ .
- (٤٢) «إشارة التعيين» ٣١٤ ، و«إنباه الرواة» ١٤٠/٣ ، و«بغية الوعاة» ١١١/١ .
- (٤٣) «إشارة التعيين» ٣٨٦ .
- (٤٤) الدكتور عبد الرحمن عطية ، «مع المكتبة العربية» ( دراسات في أمهات المصادر ) مطبعة أوفست ، حلب ط : ١ ، ١٩٧٨ م ، ص ٣١٢ .
- (٤٥) «إشارة التعيين» ٥١ ، و«إنباه الرواة» ١٣٨/١-١٥١ ، و«بغية الوعاة» ٣٩٦/١ .
- (٤٦) «مع المكتبة العربية» ٣١٣-٣١٤ .
- (٤٧) أنظر «المدارس النحوية» ص : ٢٣٥ ، و٢٧٦-٢٧٨ .
- (٤٨) نفس المصدر .
- (٤٩) نفس المصدر ص : ٢٨٨-٢٨٩ ، و ص : ٢٩٤ .